

مكائيات كليلة ودمنة

11

حرب البوم والغريان

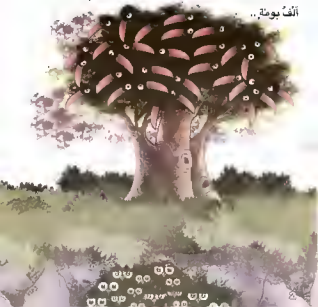


للمؤسسة العربية للدراسات
التي تأسست في بيروت
في عام ١٩٨٢م
تحت إشراف
المؤسسة

يُحْكِي أَنَّهُ كَانَ فِي جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ شَجَرَةٌ ضَخْمَةٌ ، كَثِيرَةٌ
الْأَغْصَانِ وَالْفُرُوعِ ..

وَيُحْكِي أَنَّهُ كَانَ فِي هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَكْرٌ لِلْغُرَبَانِ ، بَعْضُهُنَّ فِيهِ أَلْفٌ غُرَابٍ ..
وَكَانَ لِلْغُرَبَانِ مَلِكٌ حَكِيمٌ عَاقِلٌ ، لَا يَقْضِي أَمْرًا قَبْلَ أَنْ يَشَاوِرَ فِيهِ
الْعُقَلَاءَ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وَيَأْخُذَ بِرَأْيِهِمْ ..

وَقَرِيبًا مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ كَانَ يُوجَدُ فِي الْجَبَلِ كَهْفٌ تَعِيشُ فِيهِ
أَلْفٌ بَوْمَةٍ ..



وكانَ اليومُ ملكُ مغرورٍ متجبرٍ ، شديدُ الظلمِ والبطشِ والعُدوانِ على
جيرانهِ الغربانِ ..

وذاتَ ليلةٍ ظلماءٍ خرجَ ملكُ اليومِ يغزوُ أصحابه ، فأغاروا على وغرِ
الغربانِ غارةً مفاجئةً - وهمُ ما يزالونَ نيامًا - فقتلوا منهمُ عددًا كبيرًا ،
وأصابوا عددًا آخرَ إصاباتٍ خطيرةٍ .. والمعلومُ أنَّ اليومَ ترى ليلًا ،
وتعجزُ عنِ الرؤيةِ نهارًا ..

فلما أصبحَ الصُّباحُ ولاحَ بوجْههِ الوضاحُ ، اجتمعَتِ الغربانُ
إلى ملكها ، وهمُ في حالةٍ خطيرةٍ يرئى لها ، وقالَ أكثرُهُم ليلًا :
- قدَ علقتْ أيها الملكُ ما لقينا اللُّيلةَ : ملكُ اليومِ



وَأَعْوَابِهِ .. لَقَدْ عَلِمُوا مَكَانَنَا وَتَجَرُّوا عَلَى وَطَنِنَا ..

وراح ملك الغربان يستعرض رعاياه وأهل مملكته حزينا ، فلم ير حولة غير قتيل أو جريح أو مكسور الجناح أو متئوف الريش أو مقطوع الذنب ، فملأته الحسرة وهذه الهم .. وتحدث غراب آخر فقال :

- إن الأهم من ذلك أن أعدائنا اليوم ، بعد أن علموا مكاننا وتجرؤوا علينا ، لا بد أن يعودوا إلينا ، وكل هدفهم هو استئصالنا .. أنت متبكتنا ويجب أن تعمل على حمايتنا من أعدائنا ..

راح ملك الغربان يفكر فيما يجب عليه أن يفعلته نجاة رعاياه ، لكنه لم يشأ أن يقرر أمرا قبل أن يستمع إلى آراء



مُسْتَشَارِيهِ ، فَرُبَّمَا أَفَادُوهُ بِرَأْيٍ لَمْ يَكُنْ فِي حُسْنِإِيَّتِهِ ..
وَكَانَ لِمَلِكِ الْغُرَيَّانِ خَمْسَةُ مُسْتَشَارِينَ ، فَنَظَرُوا إِلَى الْأَوَّلِ مِنْهُمْ قَائِلًا :
- مَا رَأَيْتُكَ فِي هَذِهِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَيَّ رُغُوسَنَا جَمِيعًا وَتَقَوَّعَ
الصَّاعِقَةُ ؟

فَقَالَ الْمُسْتَشَارُ الْأَوَّلُ :

- لَا أَرَى خِلاَ لِهَذِهِ الْكَارِثَةِ سَبَوًى أَنْ نَهْرُبَ مِنْ عَدُوِّنَا لِأَنَّهُ قَدْ نَجَرْنَا
عَلَيْنَا فِي أَوْطَانِنَا ، وَلَنْ يَدْعَنَا نَعْبُشَ فِي سِلَاحٍ بِغَدَا الْيَوْمِ ..
فَنَظَرُوا مَلِكَ الْغُرَيَّانِ إِلَى الْمُسْتَشَارِ الثَّانِي قَائِلًا :
- وَأَنْتَ مَاذَا تَرَى ؟



فَقَالَ الْمُسْتَشَارُ الثَّانِي :

- لَا أَرَى إِلَّا مَا رَأَى زُمَيْلِي .. لَيْسَ أَمَانُنَا إِلَّا بِالْهَرَبِ ..

فَغَضِبَ مَلِكُ الْغُرَبَانِ وَقَالَ :

- لَيْسَ هَذَا بِرَأْيِ صَاحِبٍ .. كَيْفَ نَرْحَلُ عَنْ أَوْطَانِنَا ، وَتُخْلِيهَا لِعَدُوِّنَا

مَنْ أَوَّلُ مُصِيبَةٍ أَصَابَتْنَا مِنْهُ ؟ الرَأْيُ الصَّوَابُ أَنْ نَجْتَمِعَ أَمْرُنَا ،

وَنَسْتَعِجُ لِلْقِيَامِ عَدُوَّنَا .. أَنْ تُشْعِلَ نَارَ الْحَرْبِ وَتَسْتَعِجُ لِلْقِيَامِ عَدُوَّنَا ،

فَنَقَاتِلُهُ قِتَالِ الشُّجْعَانِ .. قِتَالًا نَتَحَصَّنُ فِيهِ بِخُصُوفِنَا ، فَتَقْتُلَ مِنْهُ

أَكْثَرَ مِمَّا قَتَلَ مِنَّا ، وَتُصِيبَ مِنْهُ أَضْعَافَ

مَا أَصَابَنَا .. هَذَا هُوَ الرَأْيُ الْقَوِيُّ ..



ونظر الملك إلى مُستشاره الثالث قائلاً :

- وأنت ما رأيك فيما جرى ؟

فقال المُستشار الثالث :

- من رأيي ألا نبدأ حرباً ، حتى تُرسل جواسيسنا إلى عدونا ، فنعلم هل يريدُ عدونا صلحاً ، أم يريدُ حرباً ، أم أنه فعل ذلك ليُرهبنا ويخيفنا على دفع القُدبة ؟ فإذا رأينا طامعاً في مالٍ ، صالحنا على قُدبة نؤتيها إليه ، ندفع بها كُفدة ، ونردُّ عدوانه ، فنعيشُ آمنين في ديارنا ، ولا نرحلُ عن أوطاننا .. فنظر ملك الغربان إلى مُستشاره الرابع قائلاً :

- وأنت ماذا ترى في هذا الصلح ؟

- فقال المُستشار الرابع :

- لا أراه رأياً صالحاً .. والرأي عهدي أننا لو اضطربنا

إلى مغارقة أوطاننا ، فإن الصبر على الغربة ،

وسدة المعيشة . فلو أن نذل أنقستنا ، ونخضع

لعدونا ..



وسكتَ المُستشارُ الرابعُ حتى يلتقطَ أنفاسَهُ .. ثم قال :

- وَأَنَا وَاثِقٌ أَنَّنَا لَوْ شَعَلْنَا ذَلِكَ مَعَ الْيَوْمِ ، فَإِنَّهُ سَوْفَ يَجْتَرِي عَلَيْنَا
أَكْثَرُ ، وَلَنْ يَرْضَى إِلَّا بِخُصُوعِنَا وَإِذْلَالِنَا وَسُلْبِ أَمْوَالِنَا ، وَالرَّأْيُ عَبْدِي
أَنْ نُجَهِّزَ أَنْفُسَنَا لِمُحَارَبَتِهِ ..

فَنظَرَ الْمَلِكُ إِلَى مُسْتَشَارِهِ الْخَامِسِ وَقَالَ :

- وَأَنْتَ مَاذَا تَرَى فِي هَذِهِ الْأَرَاءِ الْمَطْرُوحَةِ ؟

هَلْ تَرَى أَنَّ تُقَاتِلَ عَدُوَّنَا ، أَمْ تُصَالِحُهُ ، أَمْ تَرْحَلُ عَنْ أَوْطَانِنَا ؟

فَقَالَ الْمُسْتَشَارُ الْخَامِسُ - وَيَبْينُ أَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَهُمْ غَلَاً وَجَهْمَةً :

- أَمَّا الْقِتَالُ ، فَأَنَا أَرَى أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَنَا إِلَى قِتَالِ عَدُوَّنَا ،



لأنه أقوى منا .. وقد قال الحكماء : من لا يعرف نفسه ويعرف عدوه ،
 وأقدم على قتال من لا يقوى عليه ، أهلك نفسه .. وأنما هو الذى
 لا يستصغر عدوه ، لأن من استصغر عدوه اغتر به ، ومن اغتر بعدوه
 لم يسلم ملة . ولذلك فأننا أنصحك أيها الملك بالابتعاد عن قتال اليوم ..
 فاستحسن الملك كلام مستشاره .. ثم نظر إليه قائلاً :

- هل نعلم أيها الغراب الحكيم ، كيف كانت بداية العداوة بين اليوم
 والغراب ؟

فقال المستشار الخامس :

- زعم أجداننا أن ذلك كان منذ سنوات طويلة جداً ، وأن سبب هذه
 العداوة يرجع إلى أن جماعة من طائر الخركي لم يكن لها ملك ،
 فاجتمعت ذات يوم وقررت أن نجعل ملك اليوم ملكاً عليها .



وبينما جماعة الكركي في اجتماعها رأَتْ غُرابًا يحجُبُ قريبًا منها ،
فاستشارته جماعة الكركي فيما قرَّرته من اختيار ملك اليوم . فتلخَّط لها ..
فقال ملك الغراب :

- وماذا قال ذلك الغراب ؟

فقال المستشار الخامس :

- قال الغراب : كيف تملُكُن ملك اليوم عليكَ ؟ أما عليكَ أنَّ اليومنة
هي أقبح الطيور منظرًا ، واستوزوها خلقًا ، وأقلها عقلًا ، وأشدها
غضبًا ، وأقلها رُحمةً بمخلوقات الله ؟ هذا بالإضافة إلى ضعف
بصرها نهارًا .. واليومُ بالإضافة إلى ذلك طائرٌ مشنومٌ يتضايقُ
الناسُ من رؤيته ..

وراح الغراب يعدُّ مساوئ اليوم ، وينصَحُ جماعة الكركي بعدم
تخليكِ عنها مهما كانت الظروف .. فلما سمعت جماعة الكركي ذلك
أعرضت عن تملكِ ملك اليوم
عليها ..



فقال الملك : وماذا حدث بعد ذلك ؟

فقال المستشار الخامس :

- كانت هناك بومنة حاضرة ، فسمعت كل ما قاله ذلك الغراب ،
ونقلته إلى ملك اليوم ، فغضبا غضبا شديدا ، وقال للغراب : لقد
اذيقتني أذى شديدا ، لن يمحي من قلبي أبدا ، برغم أني لم يسبق مني
أن وجهت إليك إذى أو إهانة .. لقد عرستكم معاشير الغريبان بيننا
وبينكم شجر الحقد ، واشعلتم نار العداوة والبغضاء ..

فلما سمع الغراب ذلك علم أنه أخطأ في حق اليوم ، وتدم ندما
شديدا على ما صدر منه من قول فيه إهانة لليوم ..
وبعد أن تاب الغراب إلى رثده ، قال في نفسه :
والله لقد تجاوزت في قولي هذا الغي ، الذي جلبت به
العداوة والبغضاء على نفسي وعلى قومي ..



لَيْسَنِي لَمْ أَخْبِرْ جَمَاعَةَ الْكَوْكِى بِمَا أَخْبَرْتُهُمْ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْيَوْمِ . إِنْ كُنَّ
الطَّيْرُ تَعْلَمُ مِنْ أَمْرِ الْيَوْمِ وَمَسَاوِيهَا الْخَيْرُ مَا أَعْلَمُ ، وَلَكِنْ مَنَعَهَا مِنْ
الْكَلَامِ بِمِثْلِ مَا نَكَلَّمْتُ بِهِ الْخَوْفُ مِنْ جَلْبِ عِدَاوَةِ الْيَوْمِ لَهَا وَلِقَوْمِهَا ..
إِنَّ الْعَاقِلَ - حَتَّى وَلَوْ كَانَ وَاقِفًا بِقُوَّتِهِ - لَا يَتَّبِعِي أَنْ يَحْمِلَهُ ذَلِكَ عَلَى
جَلْبِ الْعِدَاوَةِ لِنَفْسِهِ وَلِقَوْمِهِ ..

فَقَالَ مَلِكُ الْغُرَبَاءِ :

- وَمَاذَا نَرَى آيَهَا الْمُسْتَشَارُ الْعَاقِلُ مِنْ حَلٍّ لِمَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ شِدْقٍ
وَكَرْبٍ الْآنَ مَعَ عِدْوَانَا الْيَوْمِ ؟
فَقَالَ الْمُسْتَشَارُ الْخَامِسُ :

- عِبْدِي مِنَ الْحَبْلَةِ وَالرَّأْيِ وَالْمَكِيدَةِ مَا أَرَى فِيهِ مَخْرَجًا لِمَا نَحْنُ فِيهِ
مِنْ هَمٍّ ، وَكَرْبٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ (نَعَالِي) - فَرَبِّ قَوْمٍ قَدِ احْتَالُوا بَارِئِهِمْ ،



حتى ظفروا بما أرادوا ، ونالوا كل ما تمنّوا ..
فقال ملك الغريبان :

- اعرضْ عليّ كل ما تفكرُ فيه أيها الحكيمُ ، فأنا كلّي اذانُ
صاغيةٌ ، وأنت تعلمُ أنني أقدرُ رأيكَ حقَّ قدره ، واحترمه من بين
جميع الأراء ..

فسختُ المستشارُ الخامسُ قليلاً .. ثم قال شارحاً خطّةهُ التي
استقرَّ عليها رأيهُ بعدَ تفكيرٍ طويلٍ :
- أريدُ من الملكِ أنْ يأمرَ جنودهَ بنقري ونثف ريشي ونثلي ،



ثم يأمرُ بالثأري عند جذع هذه الشجرة التي نعيش فيها ..
لتعجب الملك ، وتعجب كل الحاضرين من كلام المستشار الخامس ..
وقال الملك مستنكراً :

- كيف تطاوعني نفسي أن أفعل ذلك في أغفل وأحكم أغواني وأعز
أصدقائي ؟

فقال المستشار الخامس في إصرار :
- من أجل الأهل والأوطان يهون كل شيء ، حتى النفس يا ملك
الغريمان ..



فَقَالَ الْمَلِكُ :

- وما هي خطبتك في ذلك ؟ فقال المستشار الخامس :

- بعد أن نلعلوا بي ذلك ، أرجو أن ترحل أيها الملك بجنودك ، وبكل
مُجْتَمِعِ الغريان إلى مكان بعيد آمن لأهلكى وقوامي ، وتنتظرون هناك ،
حتى أدخل في مجتمِعِ اليوم وأعيش بينهم ، فاخْتَلَطَ بهم ، وأطلع على
كل أحوالهم ، فاستطيع أن أخذ نقاط ضعفهم ، وأعرف مدى قوتهم
وتخصيقاتهم ، ثم أهرب وأتى إليكم لعلهم عليهم في الوقت المناسب
ونشأ منهم ثأرنا بإذن الله (تعالى) ..



وَبَرَعَمِ اقْتِبَاعِ الْمَلِكِ بِمَا عَرْضُهُ عَلَيْهِ مُسْتَشَارُهُ الْخَامِسُ مِنْ خِطَّةٍ
فِيهَا خَيْدٌ لِلْأَعْدَاءِ ، إِلَّا أَنَّهُ ظَلَّ يَرَاغِبُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ قَائِلًا :
- هَلْ تَطِيبُ نَفْسَكَ بِهَذَا الْعَمَلِ الْبُطُولِيِّ الَّذِي قَدْ تَدَفَّعَ فِيهِ حَبَاثَتَكَ .
وَتَضَحَّى فِيهِ بِنَفْسِكَ ؟

وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ الْمَلِكُ يَتَلَقَّى جَوَابًا مُسْتَشَارِهِ الْخَامِسِ بِالرِّضَا
وَالْقَبُولِ لِهَذَا الْغَمَلِ الْخَطِيرِ الَّذِي سَيَقُومُ بِهِ . وَهَكَذَا رَحَلَ مَلِكُ الْغُرَبَانِ
مَعَ جُنُودِهِ وَكُلِّ مَجْتَمَعِ الْغُرَبَانِ ، بَعْدَ أَنْ نَفَّسُوا رِيْشَ الْمُسْتَشَارِ
الْخَامِسِ وَأَذَوَّةَ بِالْفَقْرِ وَالضَّرْبِ . ثُمَّ تَرَكَوهُ عَلَى الْأَرْضِ بِجَوَارِ جَذَعِ
الشَّجَرَةِ ، لِيَلْأَقِيَنَّ مَصِيرَهُ الْمَحْتُومَ ، فَهَلْ يَنْجُو فِي مُهْمَّتِهِ ، أَمْ نَكُونُ
فِيهَا نِهَابَتَهُ ؟

الكتاب الثاني
الخميس في ليلة اليوم